بأنكم نذر توبيخ يزدادون به عذابا إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم وخزنتها
مالك وأعوانه من الزبانية قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأن الله عز
وعلا أزاح عللهم ببعثة الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه وأنهم لم يؤتوا من قبله
كما تزعم المجبرة وإنما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله
فأمر به وأوعد على ضده فإن قلت إن أنتم إلا في ضلال كبير من المخاطبون به
قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على أن النذير بمعنى الإنذار
والمعنى ألا أهل نذير أو وصف منذروهم لغلوهم في الإنذار كأنهم ليسوا
إلا إنذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله إنا رسول رب العالمين أي
حاملا رسالته ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على إرادة القول أرادوا
حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا أو أرادوا بالضلال الهلاك أو سموا
عقاب الضلال باسمه أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أي قالوا لنا هذا فلم نقبله
ولو كنا نسمع الإنذار سماع طالبين للحق أو نعقله عقل متأملين وقيل إنما جمع
بين السمع والعقل لأن مدار التكليف عليهما بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل
فسحقا قرئ بالتخفيف والتثقيل أي فبعدا لهم اعترفوا أو جحدوا فإن ذلك
لا ينفعهم ظاهره الأمر بأحد الأمرين الإسرار والإجهار ومعناه ليستوي
عندكم إسراركم وإجهاركم في علم الله بهما ثم علله بأنه عليم بذات الصدور
أي بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم أنكر
أن لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الأشياء وحاله أنه اللطيف
الخبير المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق
منصوبا بمعنى ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي أن المشركين كانوا يتكلمون
فيما بينهم بأشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمعه

إله محمد فنبه الله على جهلهم المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية
لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شيء من البعير وأنباه عن أن يطأه الراكب
بقدمه ويعتمد عليه فإذا جعلها في الذل بحيث تمشي في مناكبها لم يترك وقيل
مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فإذا أمكنكم السلوك
في جبالها فهو أبلغ التذليل وقيل جوانبها والمعنى وإليه نشوركم فهو مسائلكم
عن شكر ما أنعم به عليكم من في السماء فيه وجهان أحدهما من ملكوته في السماء
لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه
وكتبه وأوامره ونواهيه والثاني أنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه في
السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم
على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان
أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة أما تخاف من فوق العرش
أن يعاقبك بما تفعل إذا رأيته يركب بعض المعاصي فستعلمون قرئ بالتاء والياء
كيف نذير أي إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم
صافات باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها لأنهن إذا بسطنها صففن
قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن فإن قلت لم قيل
ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لأن أصل الطيران هو صف الأجنحة لأن
الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والأصل في السباحة مد الأطراف
وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء
بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض
تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن إلا الرحمن بقدرته وبما دبر
لهن من القوادم والخوافي وبنى الأجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجري

Copyright © King Saud University